مسيرة حياة العميد عزيز نصيرزاده؛ من مراحل التدريب وتولّي المسؤوليات إلى الشهادة

من قمرة «إف-١٤» إلى الحكومة الرابعة عشرة

مضى ستة أشهر على هجوم الولايات المتحدة والكيان الصهيوني على إيران. الهجوم الذي شكّل واحداً من أكثر المقاطع مرارةً في التاريخ المعاصر للبلاد، وأدى إلى استشهاد عدد من كبار قادة ومسؤولي الجمهورية الإسلامية الإيرانية. ومن بين الشخصيات التي استشهدت في ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠٢٦، كان اسم العميد الطيار الشهيد عزيز نصيرزاده، وزير الدفاع وإسناد القوات المسلحة في الحكومة الرابعة عشرة، يحتل مكانة خاصة.

كان قد تولى، قبل ذلك بأشهر قليلة فقط، منصب وزير الدفاع بعد حصوله على تصويت غير مسبوق تقريباً من مجلس الشورى الإسلامي. وفي ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠٢٦، وأثناء انعقاد اجتماع مجلس الدفاع، استشهد إلى جانب علي شمخاني أمين مجلس الدفاع، ومحمد باكبور القائد العام للحرس الثوري، والفريق عبدالرحيم موسوي رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وقد أدت شهادته إلى مواجهة الحكومة الرابعة عشرة، في واحدة من أكثر المراحل حساسية في نشاطها، فقدان أحد أهم أعضاء مجلس الوزراء؛ وزيراً أمضى أربعة عقود من عمره في مسار تعزيز القدرات الدفاعية للبلاد.

كان عزيز نصيرزاده، المولود في ٢٥ أيار/ مايو ١٩٦٤ في محافظة آذربايجان الشرقية، من القادة الذين بدأوا مسيرتهم المهنية من أدنى المستويات العسكرية، وتقدموا خطوةً خطوة حتى تولي أعلى المسؤوليات الدفاعية في البلاد. أمضى مرحلة تعليمه الثانوي في طهران. وفي عام ١٩٨٢، وبالتزامن مع استمرار الحرب المفروضة، التحق بالقوة الجوية التابعة لجيش الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

وكان اختياره للقوة الجوية بداية طريق قاده بعد سنوات إلى قيادة هذه القوة ثم إلى وزارة الدفاع.

أكمل نصيرزاده تدريبات الطيران التخصصية في كلية الطيران التابعة للقوة الجوية، كما اجتاز دورات تكميلية في إيران وباكستان. وعلى الرغم من أن دخوله المجال العسكري تزامن مع السنوات الأخيرة من الدفاع المقدس، ولم تتوافر له فرصة المشاركة الواسعة في العمليات القتالية، فإن التحليق بالمقاتلة «إف-١٤ تومكات» والعمل إلى جانب قادة بارزين، من أمثال الفريق الشهيد علي صياد شيرازي والشهيد منصور ستاري، منح نصيرزاده خبرة قيّمة. بعد انتهاء الحرب المفروضة التي استمرت ثمانية أعوام، دخل مسار خدمة نصيرزاده مرحلة جديدة. فإلى جانب نشاطه في المجال العملياتي، تولى مسؤوليات متعددة في القطاعات الإدارية والتخصصية للقوة الجوية. وكان توليه منصب الملحق العسكري للجمهورية الإسلامية الإيرانية في إيطاليا أحد أهم المراحل في مسيرته المهنية؛ وهي مسؤولية أتاحت له التعرف عن قرب على الهياكل الدفاعية والعسكرية في الدول الأخرى، واكتساب خبرة تتجاوز أجواء القوات المسلحة الداخلية.

بعد عودته إلى البلاد، أُسندت إليه مسؤوليات من قبيل إدارة الحرب الإلكترونية في معاونية عمليات القوة الجوية، ومعاونية الاستخبارات، وكذلك معاونية التخطيط والبرامج في القوة الجوية. وأظهرت أنشطته في هذه المجالات أن نظرة نصيرزاده لم تكن تقتصر على العمليات الجوية، بل كان يتمتع أيضاً بقدرات ملحوظة في مجالات التخطيط وتحليل المعلومات وتطوير البنى التحتية والإدارة العليا.

في عام ٢٠٠٩، وبموجب أمر قيادة الجيش، عُيّن معاوناً منسقاً ورئيساً لأركان القوة الجوية، وبقي في هذا المنصب حتى عام ٢٠١٧. وخلال هذه السنوات، كان التنسيق بين مختلف أقسام القوة الجوية، وتطوير البنى التحتية العملياتية، ورفع مستوى جاهزية هذه القوة، من أبرز محاور نشاطه. وفي هذه الفترة أيضاً، وتحديداً عام ٢٠١٢، نال رتبة العميد.

تواصل مسار تقدم نصيرزاده في هيكل قيادة الجيش. ففي عام ٢٠١٧ عُيّن نائباً لقائد القوة الجوية للجيش. وبعد عام واحد فقط، وفي ١٩ آب/ أغسطس ٢٠١٨، وبأمر من قائد الثورة الشهيد(رض)، تولى قيادة القوة الجوية لجيش الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وقد اقترنت قيادته لهذه القوة بالتركيز على تحديث الأسطول الجوي، وزيادة القدرات العملياتية، والارتقاء بتدريب الطيارين، وتطوير قدرات الدفاع الجوي. واستند العديد من برامج هذه المرحلة إلى تعزيز القدرة الردعية ورفع الجاهزية القتالية للقوة الجوية.

بعد ثلاث سنوات، وفي عام ٢٠٢١، أُسندت إليه مسؤولية أكثر أهمية. فقد عُيّن نصيرزاده نائباً لرئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة. وهو منصب وضعه في صميم عملية اتخاذ القرارات الدفاعية والاستراتيجية الكبرى في البلاد. وقد أسهم وجوده في هذه المسؤولية في استكمال خبرته الإدارية ومهّد الطريق أمام دخوله إلى الحكومة الرابعة عشرة.

ومع بدء عمل الحكومة الرابعة عشرة، قدّم مسعود بزشكيان، رئيس الجمهورية، اسم العميد عزيز نصيرزاده إلى مجلس الشورى الإسلامي وزيراً مقترحاً للدفاع وإسناد القوات المسلحة. وكانت نتيجة دراسة أهليته في المجلس واحدة من أكثر أصوات الثقة تاريخية. فقد حصل نصيرزاده على ٢٨١ صوتاً مؤيداً من أصل ٢٨٨ صوتاً مدلى بها. وهو رقم قياسي جعله واحداً من الوزراء الذين حصلوا على أكبر عدد من الأصوات في الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

وكان سادس وزير دفاع يصل إلى هذا المنصب من صفوف جيش الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وهو أمر أدخل، بالنظر إلى خبرته الطويلة في القوة الجوية، رؤية مختلفة إلى إدارة وزارة الدفاع. فقد جعلته خبرة أربعة عقود من النشاط في المجالات العملياتية والاستخباراتية والتخطيطية والاستراتيجية، يمتلك معرفة دقيقة باحتياجات القوات المسلحة.

ووصف مركز أبحاث مجلس الشورى الإسلامي البرنامج الذي قدّمه نصيرزاده عند ترشيحه إلى المجلس بأنه البرنامج الأكثر اكتمالاً وشمولاً بين البرامج المقدمة استناداً إلى الوثائق والمرجعيات العليا. وكان تطوير القدرات القتالية بصورة شاملة، والارتقاء بقدرات إسناد القوات المسلحة، وتعزيز البنى التحتية الدفاعية، واستمرار دعم جبهة المقاومة في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية المختلفة، من أبرز المحاور التي حظيت باهتمام في برنامجه.

كما أكد على استخدام قدرات الدبلوماسية الدفاعية لتطوير التعاون الدولي. وكان تعزيز التفاعل مع الدول المجاورة والمتوافقة، لاسيّما دول أميركا اللاتينية وأفريقيا، وتهيئة الظروف لمضاعفة صادرات المنتجات الدفاعية الإيرانية، من بين الأهداف التي طرحها في برامجه.

كان نصيرزاده خلال فترة توليه الوزارة يسعى أيضاً، بالاعتماد على هذه القدرات، إلى مواصلة مسار الارتقاء بالقدرة الدفاعية للبلاد. ومن أبرز سمات الرؤية الدفاعية لنصيرزاده، التأكيد المتزامن على القدرات الهجومية والدفاعية. فقد كان يرى أن تطوير القوة الصاروخية، على الرغم من أهميته الكبيرة، لا يمكنه تلبية احتياجات المستقبل من دون تعزيز الدفاع الجوي والحرب الإلكترونية والتقنيات السيبرانية. وقد جعلته سنوات حضوره في القوة الجوية يدرك جيداً أهمية التنسيق بين العمليات الهجومية والدفاعية، ونقل هذه الرؤية نفسها إلى وزارة الدفاع. كما أكد على ضرورة توثيق التعاون بين الجيش والحرس الثوري ووزارة الدفاع، وكان يرى أن التآزر بين هذه المجموعات يمكن أن يزيد القدرة الردعية للبلاد.

في ١٣ شباط/ فبراير ٢٠٢٦، أي قبل أيام قليلة فقط من استشهاده، أشار إلى التهديدات الخارجية، وأعلن أنه لا يمكن مخاطبة إيران بلغة التهديد. وأكد أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية لن تكون البادئة بأي حرب؛ لكنها إذا فُرضت عليها حرب، فإن ردّ إيران سيكون حازماً وقوياً. في نهاية المطاف، وفي ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠٢٦، وبينما كان اجتماع مجلس الدفاع منعقداً، أدى هجوم الولايات المتحدة والكيان الصهيوني على مكان انعقاد الاجتماع إلى استشهاد العميد عزيز نصيرزاده وعدد من كبار القادة العسكريين في البلاد. وباستشهاده، أُغلقت صفحة أكثر من أربعة عقود من الخدمة المتواصلة في المجال الدفاعي للبلاد؛ مسيرة بدأت من قمرة المقاتلة «إف-١٤»، ومرّت بقيادة القوة الجوية ومنصب نائب رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة، وانتهت في نهاية المطاف بتولي مسؤولية وزارة الدفاع والاستشهاد في أعلى مستوى من مستويات صنع القرار الدفاعي في البلاد.

إرث الشهيد نصيرزاده؛ ضامن أمن أكبر لإيران

العميد سيّد مجيد ابن الرضا
القائم بأعمال وزارة الدفاع وإسناد القوات المسلحة

مع اقتراب أسبوع الحكومة، ينبغي التذكير بأن هذا الأسبوع لا يذكّرنا بالمسؤولية والخدمة فحسب؛ بل يذكّرنا برجال كانوا ينظرون إلى المسؤولية لا بوصفها منصباً، بل أمانة إلهية، وكرّسوا كل قدراتهم لعزة هذا الوطن وأمنه. ومن بين هؤلاء، سيبقى اسم الشهيد العميد الطيار عزيز نصيرزاده خالداً إلى الأبد في ذاكرة وزارة الدفاع والصناعة الدفاعية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

كنّا نعرفه طوال سنوات بوصفه طياراً شجاعاً، وقائداً متمرساً، ومديراً ميدانياً؛ وزيراً دؤوباً، بسيط العيش، بعيداً عن التكلف والمراسم الزائدة، شديد الحرص على بيت المال، موالياً للولاية ومؤمناً. وبعيداً عن كل هذه الصفات البارزة، كانت نظرته المستقبلية هي الفارق الأبرز في شخصيته. فكان الشهيد نصيرزاده لا يرى وزارة الدفاع مجرد مجموعة لإنتاج المعدات؛ بل كان يرى هذه الوزارة محركاً لإنتاج القوة والاقتدار وصناعة المستقبل للجمهورية الإسلامية الإيرانية.

كان يتحدث دائماً في الاجتماعات التخصصية عن نقطة واحدة؛ وهي أن تهديدات المستقبل لن تكون شبيهة بتهديدات الماضي، وأن الصناعة الدفاعية أيضاً يجب ألّا تتحرك بعقلية الأمس. وكان يؤمن بأنه إذا أردنا امتلاك أمن مستدام، فعلينا أن نتحرك أسرع من احتياجات ميدان المعركة؛ علينا أن نمتلك التكنولوجيا قبل أن تصل إلى الميدان، وأن نصمم المستقبل قبل العدو.

وكان يدرك جيداً أن الردع ليس نتاج مخازن الذخيرة؛ بل هو نتاج الفكر والتكنولوجيا والابتكار والإرادة الوطنية. ولهذا السبب، وإلى جانب تطوير القدرات الصاروخية والدفاعية والطائرات المسيّرة والفضائية والحرب الإلكترونية، كان يصرّ على الذكاء الاصطناعي، واستخدام التقنيات الحديثة، وإعداد الكوادر البشرية المتخصصة. وكان يؤمن بأن كل جيل من المعدات الدفاعية ينبغي أن يكون ثمرة قفزة تكنولوجية، لا تكراراً للماضي.

ومن أبرز خصائصه، الاهتمام المتزامن بالإنسان والتكنولوجيا. فقد كان يعتقد أن أكثر المعدات تطوراً لن تتحول إلى قوة حقيقية من دون موارد بشرية مؤمنة ومتخصصة ومحفزة. ومن هنا كان يعتبر تطوير الموارد البشرية، وإصلاح الهياكل، وزيادة الإنتاجية، وتعزيز الروح الجهادية، على قدم المساواة مع تطوير التكنولوجيا. وكان قد أطلق مشروع «نجوا»، بمعنى «النخب الشابة الموالية للولاية والثورية»، في القوة الجوية في وقت سابق، سعياً إلى التعرف على النخب المؤمنة والمعتقدة والولائية، وكان يأمل في بناء مستقبل الدفاع والصناعة على أساس هذه النخب.

وقد أثبتت الحرب المفروضة الأخيرة العديد من هذه المعتقدات. فقد أدرك العدو جيداً أن القدرة الدفاعية للجمهورية الإسلامية الإيرانية هي حصيلة عقود من الجهاد العلمي والصناعي والتكنولوجي؛ ولهذا السبب، جعل أحد أهدافه الرئيسية البنى التحتية للصناعة الدفاعية؛ لكن، وكما كان الشهيد نصيرزاده يقول مراراً، عندما يترسخ العلم والخبرة والإرادة في أوساط أمّة ما، فلن يكون بمقدور أي هجوم أن يوقف مسار تقدمها.

واليوم، عندما نتحدث عن «الثورة الصناعية الدفاعية للجمهورية الإسلامية الإيرانية»، فإننا في الحقيقة نتحدث عن تغيير في نوع النظرة؛ تغيير نقل الصناعة الدفاعية من الاستجابة لاحتياجات اليوم إلى صناعة قوة الغد. وكان الشهيد نصيرزاده أحد مهندسي هذه الرؤية؛ رؤية أرادت للصناعة الدفاعية أن تتحرك دائماً خطوة واحدة أمام التهديد.

ولا شك أن القادة الشهداء قد رحلوا عنّا؛ لكن أفكارهم حيّة. والطريق الذي بدأوه سيواصل مسيرته بجهود العلماء والمتخصصين والمهندسين والعاملين في الصناعة الدفاعية، وستواصل الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بالاعتماد على الله تعالى وعلى ثروتها البشرية العظيمة، هذا المسار بقوة وسرعة أكبر.

إن الشهيد العميد الطيار عزيز نصيرزاده لم يكن مجرد وزير أو قائد؛ بل كان يفكر في مستقبل يستند فيه أمن إيران إلى أكتاف العلم والثقة بالذات والتكنولوجيا المحلية والشباب النخبوي. وهذه الفكرة إرث سيبقى، وسيضيء الطريق أمام الأجيال المقبلة.

كانت رائحة الوصال قد وصلت إلى مشامه

إلناز نصيرزاده
ابنة وزير الدفاع السابق

عاش والدي سنوات طويلة حياةً شبيهة بحياة الشهداء، وكان من أولئك الأشخاص الذين لم ينالوا الشهادة في اللحظة الأخيرة من حياتهم فحسب، بل نالوها قبل ذلك بسنوات، مع كل قرار، وكل عبادة، وكل قيام لليل، وكل خطوة كانوا يخطونها في سبيل الله. ولذلك، لم تكن الشهادة بالنسبة إليه حادثة مفاجئة، بل كانت نهاية طريق قطعه طوال حياته بالإخلاص والجهاد والعبودية.

ولعل هذا هو السبب في أن الله تعالى كتب له أجمل نهاية. كان والدي عاشقاً لأمير المؤمنين الإمام علي(ع)؛ حباً لم يكن مجرد كلام على اللسان، بل كان يجري في أسلوب حياته، وفي سعيه إلى العدالة، وبساطته في العيش، وجهاده. وقد شاء التقدير الإلهي أيضاً أن يرحل إلى لقاء ربّه وهو صائم في شهر رمضان المبارك، وأن تتزامن مراسم وداعه ودفنه مع أيام إصابة الإمام علي(ع) بالضربة واستشهاده.

وبالنسبة إلينا، لم يكن هذا التشابه مجرد مصادفة تقويمية، بل كان علامة على لطف الله بعبدٍ ظلّ طوال حياته قلبه متعلقاً بمولاه. وكأن الله أراد أن يسجل هذا التشابه بين العاشق والمعشوق في التاريخ إلى الأبد.

يعرف كثير من الناس والدي من خلال مسؤولياته العسكرية والإدارية؛ لكن ما لم يُرَ كثيراً كان روحه الجهادية، وإخلاصه، وجهوده على مدار الساعة من أجل عزّة إيران. كان إنساناً بالغ الذكاء، بعيد النظر، لا يعرف التعب. وبعد توليه المسؤولية في وزارة الدفاع، أحدث، من خلال التخطيط الدقيق والإدارة الذكية، تحولاً كبيراً في الصناعات الدفاعية للبلاد. وكان تطوير القدرات الصاروخية والطائرات المسيّرة، وزيادة الإنتاج الدفاعي كماً ونوعاً، وتعزيز القوة الفضائية، وتصميم آليات الحماية، جزءاً فقط من خدماته.

لم يكن والدي يفكر فقط في زيادة عدد المعدات؛ بل كان يفكر في كيفية جعل هذه الصناعة آمنة إلى درجة لا يستطيع معها العدو أن يدمر سنوات من الجهود ويوجه ضربة شديدة إليها بضربة واحدة. وقد أظهرت الأيام لاحقاً قيمة هذه الرؤية المستقبلية.

كان جزء مهم من القدرات الدفاعية للبلاد، التي جاءت ثمارها في الأيام الحساسة، نتيجة لتلك الليالي التي لم يكن فيها مصباح غرفة عمله ينطفئ. وبعد استشهاد والدي، نقل أحد المسؤولين رفيعي المستوى أن الكيان الصهيوني، استناداً إلى عمليات الرصد الاستخباراتي، توصل مراراً إلى خلاصة مفادها أن نصيرزاده كان يعزز القدرات الدفاعية لإيران بسرعة ودقة، وأنه ينبغي التخلص منه في أسرع وقت ممكن. وهذا الكلام، قبل أي شيء آخر، يوضح أن العدو أيضاً كان يدرك جيداً قيمة جهود والدي وجديتها وتأثيرها، وكان قد فهم أن رجلاً يعمل بعيداً عن الضجيج، ليل نهار، على بناء قوة يُفترض أن تضمن أمن أمّة بأكملها.

لم يكن والدي يعرف الهدوء أو الراحة. لم يكن يميز بين الليل والنهار. كان يعمل بلا توقف لأشهر؛ لا من أجل المنصب، ولا من أجل الاسم، ولا من أجل أن يراه الآخرون، بل بدافع أمنية واحدة فقط؛ أن يتمكن من رسم ابتسامة رضا على شفتي قائد الثورة العزيز، وأن يؤدي المسؤولية التي أُوكلت إليه بأفضل صورة ممكنة.

وخلال أقل من ثمانية أشهر من توليه مسؤولية وزارة الدفاع، كان عدد زياراته إلى المراكز الصناعية والصاروخية أكبر من مجموع زيارات جميع وزراء الدفاع الذين سبقوه. كان يؤمن بأن المدير يجب أن يكون في الميدان، لا خلف المكتب. وكان جزء مهم من المعدات التي استُخدمت لاحقاً في المعارك وأظهرت القدرة الردعية للبلاد، ثمرة تلك الجهود الليلية والنهارية المتواصلة والمخلصة منه ومن زملائه. وكانت النجاحات الدفاعية الكبرى للبلاد، ومنها الزيادة الكبيرة في القدرة على مواجهة طائرات العدو، مجرد نموذج واحد من ثمار تلك الجهود.

وكان قائد الثورة الشهيد(رض) قد أعرب مراراً عن رضاه عن الأداء الجهادي لوالدي. وكان آخر لقاء له معه قبل نحو أسبوع من استشهاد والدي. وبعد انتهاء الاجتماع، وعندما دخل الشهيد اللواء شيرازي إلى محضر قائد الثورة الشهيد، كان سماحته قد قال: «كان تقرير نصيرزاده باعثاً على ارتياح بالغ، ورأيته اليوم في غاية النشاط والحيوية». وقد سُجلت هذه العبارة لاحقاً أيضاً في رسالة.

ويقول أهل العرفان إنه كلما اقترب موعد وصال الشهداء، يظهر على وجوههم نور ونشاط عجيبان. وكان من اللافت بالنسبة إلينا أيضاً أن أحد أسعد أيام والدي كان يوم الجمعة ٢٧ شباط/ فبراير ٢٠٢٦، أي قبل يوم واحد من استشهاده تحديداً؛ اليوم الذي لم تفارق فيه الابتسامة وجهه، وكان هناك في وجوده انتعاش وهدوء غريبان؛ وكأن قلبه كان يخبره بقدوم وعد عظيم، وكأن رائحة الوصال كانت قد وصلت إلى مشامه.

كان يؤكد دائماً أن يقدموا له الطعام نفسه الذي يأكله الجنود. وإذا شعر في اجتماع ما بأن نفقة غير ضرورية قد أُنفقت من بيت المال، كان يغضب بشدة وينبّه إلى أن حتى أصغر أشكال الإسراف غير مقبولة في مواجهة حق الناس.

وخلال الحرب التي استمرت إثني عشر يوماً، تعرّض مكتب عمله مرتين لهجوم صاروخي وأصيب بأضرار. وبعد انتهاء الحرب، اقترح بعضهم إعداد مكتب أكبر وأكثر تجهيزاً يتناسب مع مكانة الوزير؛ لكن جواب والدي كان جملة واحدة فقط: «لا حاجة لذلك؛ فأنا لست ذاهباً للجلوس خلف المكتب». ومنذ ذلك الوقت وحتى يوم استشهاده، واصل عمله في غرفة صغيرة وبسيطة وبأقل الإمكانات، وأدار المسؤوليات الثقيلة لوزارة الدفاع.

كان معارضاً بشدة للأرستقراطية والجلوس في أماكن كبار الشخصيات (VIP). وكان يؤكد مراراً ضرورة استخدام السيارات العادية والإمكانات الاعتيادية؛ لأنه كان يؤمن بأن المسؤولين، أكثر مما يبنون الثقافة بالكلام، يصبحون قدوة بسلوكهم. وكان يعتقد أنه إذا فصل المسؤولون حياتهم عن حياة الناس، فسوف تتشكل فجوة لن يكون تعويضها سهلاً. وكانت البساطة في حياة والدي لا تتعلق بمكان العمل فقط؛ بل إن أول مكان كان يؤكد عليه هو بيتنا نحن.

وكانت ثقة القادة رفيعي المستوى في البلاد بوالدي مثالاً يُحتذى. فعندما كان الشهيد الفريق باقري قائداً لهيئة الأركان العامة للقوات المسلحة (وكان والدي نائبه)، كان يقول مراراً إن نصيرزاده واحد من أفضل رجالنا، وإنني عندما أوكل إليه أي مهمة، أكون مطمئناً إلى أنه سينجزها على أفضل وجه ممكن.

وعندما كانوا يبحثون عن شخص جدير لتولي وزارة الدفاع أيضاً، كان الشهيد باقري يؤكد أنه، رغم أن العمل في هيئة الأركان العامة سيصبح أصعب بعد رحيل نصيرزاده، فإنه أفضل خيار يمكنه تولي دفة وزارة الدفاع.

وخلال الفترة القصيرة التي تولى فيها والدي الوزارة، انخفض جزء كبير من الخلافات بين الحكومة والقوات المسلحة، كما أن المطالب التي بقيت لسنوات من دون حسم، وصلت إلى نتائج من خلال متابعته المستمرة. كما أن الشهيد الفريق موسوي، عند نقل والدي من الجيش إلى هيئة الأركان العامة، ورغم شدة حزنه على فراقه، أدى ركعتين من الصلاة، ثم قال إنه طلب من الله أن يجعل هذا الانتقال مصدر خير للإسلام والجيش ولنصيرزاده نفسه.

وقال أحد رؤساء حماية المعلومات في القوات المسلحة عن والدي: «كلما درسنا جميع جوانب حياة نصيرزاده ومسؤولياته، لم نجد أي نقطة سلبية في حياته».

قد تكون هذه الجملة قصيرة؛ لكن وراءها سنوات من الحياة النظيفة والشفافة والخاشية لله. فالنزاهة بالنسبة إليه لم تكن صفة إدارية، بل كانت جزءاً من إيمانه. وكان يؤمن بأن لا مسؤولية تستحق أن يبتعد الإنسان بسببها ولو قليلاً عن رضا الله.

إن الإنسان، إذا لم يكن متصلاً بمصدر القوة الإلهية، ينهك تحت وطأة مسؤوليات كهذه؛ أما أولئك الذين يقطعون صلتهم بالدنيا ليلاً، فلا يخافون في النهار من أي عاصفة. وكان والدي يمتلك كل ما لديه من تلك الخلوات المتواضعة الخالية من الادعاء. لا يمكن تعلم الإخلاص؛ بل يجب أن يُعاش؛ وهو قد عاش الإخلاص.

واليوم، كلما نظرنا أكثر في حياة والدي، ازداد إيماننا بأن الله تعالى كافأ سنوات إخلاصه وعبادته بالشهادة.

وبعد استشهاد والدي، اتصل بنا أشخاص كثيرون من مختلف أنحاء البلاد؛ أشخاص لم نكن نتوقع أن نعرفهم، بل لم نكن قد سمعنا حتى أسماءهم. وكان كل واحد منهم يروي لنا حكايات عن الأدعية والتوسلات التي كان يخص بها والدي.

وربما بعد سنوات، سيكتب التاريخ عن الصواريخ التي حمت أمن هذه الأرض في الأيام الصعبة؛ وعن الصناعات الدفاعية التي استردت حيويتها خلال فترة مسؤوليته؛ وعن التدابير التي جعلت تسلل العدو أكثر صعوبة؛ وعن إدارة لم تعرف التعب، وعن قائد كان يفضل الميدان على المكتب؛ لكن إذا أرادوا اختصار حقيقة هذا الرجل في جملة واحدة، فعليهم أن يكتبوا: كان أميناً. أميناً على إيمانه، أميناً على مسؤوليته، أميناً على دماء الشهداء، أميناً على ثقة قائده، أميناً على بيت المال، وأميناً على أمن أناس ربما لم يعرفوا اسمه يوماً؛ لكن هدوء لياليهم كان ثمرة جهاده الصامت وجهود رفاقه.